جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ٢١ —

رأينا فى المقال السالف سرقتين من سرقات الأستاذ أحمد « الأمين » كما كان يسميه أستاذنا الشيخ المراغى قبل أن تنكشف تلك السرقات

والكشف عن سرقات هذا الرجل المفضال لا يُعدُّ من الإيذاء حتى تقبل دعوة بعض الأصدقاء إلى مهادنته مراعاةً لأدب الصيام. فأحمد أمين نفسه بحكم منصبه فى كلية الآداب يعرف أن الكشف عن سرقات الشعراء والخطباء والكتّاب نوع من المرانة الذهنية، وفنٌّ من فنون الأدب الرفيع

وأعترف بأن اهتمامي بكشف سرقات أحمد أمين لا يخلو من شيطنة، ولعله ضرب من المنافسة للدكتور طه حسين، فالدكتور طه قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهداه إليها، وأنا أيضاً أزعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها، مع الفرق بين الهدايتين

وأصرح بأن تشجيع القراء وحرصهم على أن تُجمع هذه المقالات فى كتاب يرجع إليه من تهمهم معاودة النظر فيما شرحناه من الحقائق الأدبية، ذلك التشجيع لا يهمنى كثيراً وإن كان يدلنى على يقظة القراء ورغبتهم فى محاسبة الكتّاب والباحثين.

وإنما أنتظر أن أتلقى كلمة ثناء من الأستاذ أحمد أمين لأعرف أن الجميل فى هذا البلد لا يضيع، فهو يعرف جيداً أنى قدمت إليه خدمة عظيمة حين دللته على أن مصر لا تزال بخير ففيها رجال يحاسبون من كان فى مثل منزلته من المتصدرين لتدريس الأدب بكلية الآداب، وهل يظن أصدقاؤنا بتلك الكلية أن حديقة الأورمان منطقة من مناطق المرّيخ، وأنهم بمنجاة من ألسنة الأقلام؟ هيهات، ثم هيهات؟!

ونرجع إلى السرقات فنقول :

شغل الأستاذ أحمد أمين نفسه بالنص على أن العرب فى جاهليتهم لم تكن لهم وثنية تبدع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان، وذلك يشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال

وقد ناقشنا هذا الرأى بمقال مفصل نكرره تلخيصه اليوم لئلا نقع فى الحديث المعاد، فهل يعرف القراء من أين أخذ الأستاذ أحمد أمين هذا الرأى؟ أخذه من قول الدكتور أحمد ضيف :

« وقد قال بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه : إن العرب ككل الأمم الساميّة ليس لها أساطير فى شعرها ولا فى عقائدها، وإن هذا يدل على ضيق الخيال لديهم : لأن الأساطير والخرافات إنما هى نتيجة سعة الخيال، ونتيجة الحيرة والبحث وحب الاطلاع ... وكل ذلك يظهر أثره فى بلاغات الأمم من نظم ونثر، كما هى الحال عند الأمم الآرية كاليونان وغيرهم من الأمم الأوربية، وقالوا سعة الخيال، ولا يقصدون بالخيال ما نقصده نحن من المجاز والتشبيه، وإنما يقصدون سعة الخيال فى تصور الحقائق وفى إدراك الموضوعات المختلفة، لأن أساطير اليونان كان منشأها البحث عن الخالق وتصوره فلم ترشدهم عقولهم إلا إلى ضرب من الخرافات كتبوا عنها وألفوا فيها الأسفار ونصبوا لها التماثيل، فاستدل الباحثون بذلك على قوة الذكاء وسعة الخيال وحب الجمال والافتنان فيه، وربما كان هذا من الأسباب التى حملتهم على طول الكلام والميل إلى القَصَص فى النثر والشعر، لأن هذا النوع من البلاغة ليس إلا ضرباً من سعة الخيال فى التصور والفكر والتعبير. ومن هنا يكون تعدد الأنواع فى ضروب البلاغة نظماً ونثراً »(١)

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف فى محاضرات ألقاها بالجامعة

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص٥٧ و٥٨

المصرية سنة ١٩١٨ ونشرها سنة ١٩٢١

فهل عرفتم من أين سرق الأستاذ أحمد أمين كلامه عن الفرق بين وثنية العرب ووثنية اليونان ؟ هل عرفتم من أين سرق القول بأن الوثنية العربية لم تخلق التماثيل كما صنعت وثنية اليونان ؟ هل عرفتم من أين انتهب القول بأن المجاز والتشبيه لا يدلان على سعة الخيال ؟ هل عرفتم من أين اغتصب القول بأن الجاهليين لم تتعدد عندهم ضروب البلاغة فلم يعرفوا الأقاصيص الشعرية والنثرية ؟

إن الدكتور أحمد ضيف لم يبتكر هذا الكلام ، ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين ، أما الأستاذ أحمد أمين فقد انتهب ما نقله الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبتكراته ودعا الناس إلى مناقشته فى تلك « المبتكرات » ! !

فهل عرف أنه جازف أقبح مجازفة حين دعا الباحثين إلى مناقشته وهو يظن أنْ لن يسمع منهم غير الحمد والثناء ؟

وفُتِنَ القراء بقول الأستاذ أحمد أمين إن العربي الجاهلي وصف ما رآه ، وهى فكرة بسيطة لا تحتاج إلى مقال مطوّل فى مجلة أسبوعية ، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف :

« كان العربى يصف فى شعره ما يراه ، ويتكلم عما يشعر به فى نفسه من عواطف وفضائل ، وقد تكلم وعبّر عما يجول بخاطره بنفس الشجاعة والأقدام اللذين كانا له فى الحياة »[1]

فأين الذين فُتِنوا بكلام الأستاذ أحمد أمين ليعرفوا أنه مسروق من كلام الدكتور أحمد ضيف ؟

وهناك فرق بين العبارتين : فعبارة الدكتور ضيف سبقت بتعليل مقبول لوقوف العربى عند وصف ما يراه ، أما أحمد أمين فانتضب الكلام حتى لا يتنبه بعض القراء إلى أنه يجدحُ من سَويق سواه !

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٢

وقال الأستاذ أحمد أمين إن بلاد العرب كانت فى الأغلب جرداء فلم توح إليهم التفنن فى وصف المناظر الطبيعية من رياض وبساتين ، وجداول وأنهار ، وجبال مكللة بالأشجار والأزهار

فهل يعرف القراء أنه سرق هذه الفكرة من قول الدكتور أحمد ضيف :

« إن طبيعة بلاد العرب الجافة ذات الشكل الواحد لم تُلهم العربى ولم توح إليه من أنواع الجمال غير جمال التعبير عما يجول بخاطره وإظهار عواطفه إظهاراً ساذجاً . غاب عنه جمال الطبيعة من حقول وخمائل ومن جبال وتلال مكللة بالأشجار والأزهار ، وتَدَر لديه جريان الماء وهدوء الجوّ ، فلم ير إلا الصحراء المحرقة ذات الفضاء اللانهائى ، والنخل المصعد فى السماء على شكل واحد فأثر ذلك فى خياله وجعله لا يعرف التغيير[1] »

قد تقولون إن هذه أفكار تعدُّ من البديهيات ، فمن حق أحمد أمين أن ينقلها عن أحمد ضيف

وهذا حق ، ولكن ما رأيكم فيمن ينقل البديهيات التى أعيدت مرات على أنها من البِدَع المبتكَر الطريف ، ثم يقول وهو مزهوٌّ مختال : هذه آراء نعرضها للبحث وندعو القراء إلى مناقشتها رغبةً فى تخليص الأدب العربى من الأوهام والأضاليل ؟ !

وأراد الأستاذ أحمد أمين أن يأتى بالأعاجيب فقرر أن العرب لم يعرفوا الشعر القصصى ولا الشعر التمثيلى ، وهى فكرة بسيطة لا تحتاج إلى دعوى الابتكار والابتداع ، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف : « الشعر القصصى والشعر التمثيلى بالمعنى المعروف الآن عند الأدباء فى بلاغات الأمم الأخرى لا وجود له عند العرب[2] »

وما ادعينا ولا ادعى أحد أن العرب كان عندهم شعر قصصى وشعر تمثيلى حتى نحتاج إلى حذلقة أحمد أمين .

(١) ص ٥٣

(٢) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٤٩

وعاب صاحبنا على الناس أن يظنوا أن العرب عرفوا كل شيء ، ولامهم على الاطمئنان المطلق إلى المؤلفات القديمة مع أنها على سعتها مشوّشة تتنافر بعض أجزائها مع بعض ، وعجب من أن يوجد قوم يأنفون من الخروج على الأدب القديم

وهـذا الـكلام « المبتكر » مسروق من قول الدكتور أحمد ضيف فى مطلع المحاضرة التى ألقاها بحضور الزعيم سعد زغلول فى اليوم التاسع من نوفمبر سنة ١٩١٨ :

« دراسة الأدب العربى بالطرق المعروفة الآن لا تزال حديثة العهد . والأدب العربى على سعته وغناه مشوش مختلط مرتبك لا يزال باقياً على حالته الأولى من البساطة والسذاجة فى التأليف والجمع ، ولم تحرّر بعدُ عقول أدبائنا من قيود الطرق القديمة والانتصار لها ، ولا يزال يعدُّ الخروج من القديم خروجاً عليه . ولا نزال نعتقد أن القدماء وصلوا إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل البشرى من الذكاء والإتقان ، وغير ذلك من ضروب الرضا والارتياح »[1]

ومن ذلك ترون أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن من المبتكرين حين أراد أن ينبهكم إلى الغفلة التى شاعت منذ أزمان ، الغفلة التى توجب أن تجهل أن مصادر الأدب العربى تحتاج إلى تهذيب وترتيب ، والتى قضت أن تظل عقولنا فى أسر الأدب القديم ، والتى أوهمتنا أن العرب لم يتركوا زيادةً لمستزيد ، وأنهم وصلوا إلى كل شيء ، وأن لغتهم أحسن اللغات

قد تعتذرون عن الأستاذ أحمد أمين بأنه يحادث ناساً يعيشون فى سنة ١٩٣٩ لا فى سنة ١٩١٨ ، ولكن لا تؤاخذوني : فقد توهمت أننا نتقدم فى الدراسات الأدبية من يوم إلى يوم ، وأن ما يُنشر فى سنة ١٩١٨ لا يعاد بحروفه فى سنة ١٩٣٩ خوفاً من أن يقال إن فى أساتذة الجامعة المصرية من يرى الحديث المعاد من المبتكرات

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين أن الإعجاب المطلق بالأدب العربى يضر أكثر مما ينفع ، وأن من واجبنا أن نوازن بين أدبنا وبين الآداب الأجنبية ، وأن نترك أحكام النقل والتقليد ... وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« كل حكم مبنىّ على النقل أو التقليد لا قيمة له ، ولا يفيد شيئاً ولا يصح الاعتماد عليه ، فلا يصح أن نصدق قول من قال إن لغة العرب أحسن اللغات بدون أن نعرف شيئاً من اللغات الأجنبية ونوازن بينها وبين اللغة العربية . وإننا لنسيء إلى اللغة العربية وإلى الأدب العربى وإلى الأمة العربية أكثر من أن نحسن إليها بمثل هذه الأقوال التى لا يمكن أن يعتمد عليها إنسان مفكر ، كما أنها لا تحرك العقول ولا تحملها على البحث »[1]

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف الذى نقله الأستاذ أحمد أمين بدون أن يشير إليه ... وهل كان يظن أن فى مصر من لا يزال يذكر كلاماً قيل فى سنة ١٩١٨ ونشر فى سنة ١٩٢١ ؟

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين بأنه يجب أن ننظر إلى الأدب العربى القديم كما ننظر إلى الآثار المودعة فى المتاحف ، وندرسه كما تدرس الآداب اليونانية واللاتنية ... وهذا هو كلام الدكتور ضيف إذ يقول :

« من هذه الوجهة يجب أن نتعصب للغة العربية وآدابها كما يتعصب الأوربيون الآن للغة اللاتينية واليونانية لأنهما أصل معارفهم ومستودع سر مدنيتهم[2] »

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب أن يكون لنا أدب مصرى يصور المجتمع عندنا ويحدثنا عن الزارع فى حقله والتاجر فى متجره والعالم بين تلاميذه وكتبه والعابد فى معبده والماجن فى مجونه ... وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« نريد أن تكون لنا آداب مصرية تمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذى نعيش فيه ، تمثل الزارع فى حقله ، والتاجر فى حانوته ، والأمير فى قصره ، والعالم بين

(١) ص ٣

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص٣ (٢) ص ٦

تلاميذه وكتبه ، والشيخ فى أهله ، والعابد فى مسجده وصومعته ، والشاب فى مجونه وغرامه . أى تريد أن تكون لنا شخصية فى آدابنا . ولا تريد بذلك أن نهجر اللغة العربية وآدابها ، لأننا إن فعلنا ذلك أصبحنا بلا لغة وبلا أدب »

ومن هنا تعرفون كيف سرق أحمد أمين تلك « المبتكرات » التى دعاكم إلى تقليبها على جميع الوجوه لتعرفوا ما فى كلامه من الخطأ والصواب !

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب تحرير الشعر من القوافى والأوزان حتى يتسع لشرح مختلف المقاصد والأغراض . وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« إن بلاغة العرب محصورة أو تكاد تكون محصورة فى الشعر ، والشعر لا يمثل حالة الاجتماع لضيق المجال فيه ، لأنه لا يسع جميع الأفكار ولا يحتمل إظهار الحقائق كما ينبغى ، لما فيه من القوانين التى يجب على الشاعر اتباعها ، وكثيراً ما تضطره إلى ذكر ما لا يلزم ، أو حذف ما يلزم ، ولأن الشعر رغم كل شىء مبناه الخيال والمبالغات ، والاستعارة والتشبيه والمجاز[1] »

* * *

أما بعد فتلك مجموعة جديدة من سرقات أحمد أمين فى الآراء التى عدّها من « المبتكرات »

فهل أخذتم منها عبرة ؟

هى أولاً شاهد على أن فى أدبائنا من ينهب آراء معاصريه بلا ترفق ولا استبقاء

وهى ثانياً مظهر من مظاهر الاستخفاف بيقظة النقد الأدبى فلو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف أن فى مصر رجالاً يسايرون الحياة الأدبية مسايرة تمكنهم من رد كل كلام إلى مصادره الظاهرة والخفية لتهيب عواقب السطو على آراء من سبقوه فى القديم والحديث

وهى ثالثاً دليل جديد على عدل فاطر الأرض والسموات ، فالدكتور ضيف قد انسحب من ميدان الحياة الأدبية منذ أعوام طوال ، وهو يوغل فى إيثار العزلة والانزواء ، ولا يكاد يلتفت إلى أن له آراء يسرقها أحمد أمين أو غير أحمد أمين ، ولعله يتأذى حين يسمع أننا ننوه بتلك الآراء ونأخذ بتلابيب من يسرقونها فى وضح النهار أو فى ظلام الليل .

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

سترون فى المقال المقبل سرقات جديدة من سرقات الأستاذ النبيل أحمد أمين !

وسترون أنه لن يضن علينا بكلمة ثناء !

اللهم إنى صائم ! اللهم إنى صائم !

فاجعل إفطارى على زاد أفضل من كشف سرقات الأدباء

« للحديث شجون » زكى مبارك

(١) ص ٦٨

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا كل من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فى مجلدين . والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك هذا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد